الفصل العاشر

العلاقات الإيرانية الأمريكية والإسرائيلية

منذ القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى اتسمت العلاقة بين إيران وأمريكا بالود، وبعد الحرب العالمية الثانية مالت إيران إلى جانب أمريكا، بقصد إبعاد الجيش الروسي المحتل لشمال إيران، فساعدت أمريكا إيران على انسحاب الروس من شمال إيران، وفي هذا الوقت كانت بريطانيا هي المهيمن على السياسة الإيرانية، وخاصة ما يتعلق باستخراج النفط، وهو ما جذب النفوذ الأمريكي إلى إيران، وصراع أمريكا الخفي، لكي تحتل محل بريطانيا في السياسة الإيرانية، فقد عارضت أمريكا اتفاقية ١٩١٩م التي عقدتها إيران مع بريطانيا، لأنها تمنح البريطانيين مزيدًا من النفوذ. وفي سنة ١٩٢٢م وقعت إيران اتفاقية مع شركة هنري أوين للقيام بمشروعات أشغال عامة، وتطورت العلاقات بين الطرفين في أثناء الحرب العالمية الثانية، فقد حصلت إيران على مساعدات وقروض، كان من شأنها إيصال المساعدات الأمريكية إلى روسيا عن طريق إيران للوقوف ضد سياسة المحور، وفي سنة ١٩٤٤م ساعدت أمريكا إيران على سحب الجيش البريطاني والروسي من إيران بعد الانتهاء من إبعاد الألمان وانكسارهم في الحرب العالمية الثانية، وكانت أمريكا تخطط لأن تحل محلهم[1].

وعلى الرغم من رغبة الاتحاد السوفيتي في استغلال منابع النفط الشمالية في أذربيجان، وتشجيع السوفيات لكردستان إيران بالاستقلال، وكل هذه الجهود قد أفشلتها السياسة الأمريكية بقصد دحر النفوذ الروسي عن

(١) الأستاذ: إسماعيل أحمد سمو: العلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية خلال حكم مصدق، ص٢١ وما بعدها، دار دجلة ناشرون وموزعون، ٢٠٠٩م.

إيران وتسيد أمريكا وحدها، وبعد سنة ١٩٤٥م قامت أمريكا بمساعدة إيران تحت ما يسمى بالنقطة الرابعة، بتقديم قروض مالية يتم استيفاؤها من عائدات النفط الإيرانية، وفي سنة ١٩٤٩م مرت إيران بأزمة اقتصادية مما جعل الروس استغلالها، واستقوى حزب توده، فتعرض الشاه محمد رضا بهلوي لمحاولة اغتيال. مما جعله يطلب من أمريكا بإنقاذ الوضع في إيران قبل سقوطها بيد السوفيات، «... فقامت أمريكا بجملة من المساعدات في ظل ما سمى بالنقطة الرابعة، ومن هنا جاء اهتمام أمريكا بتدعيم القوة العسكرية الإيرانية، وتزويدها بأسلحة قادرة لا على مجابهة جاراتها، بل بالقيام بعمليات هجومية وراء البحار، تضم طائرات بعيدة المدى، وأسطولاً بحريًّا، وقوات محمولة بالهيلوكوبتر...»[(١)]، وأمريكا كانت في هذا الوقت طامعة باستيفاء ما تدفعه إيران من عائداتها النفطية، التي كانت تذهب أكثرها إلى الشركات البريطانية، ولهذا فقد طالب الإيرانيون وعلى رأسهم البرلمان الإيراني بوجوب قيام الحكومة بتأميم النفط.

كان محمد مصدق زعيم المعارضة في البرلمان هو الذي يقود الطلب في تأميم النفط وإبعاد بريطانيا منه. فأصدر البرلمان الإيراني قراره بتأميم النفط، فعارضت الحكومة البريطانية هذا التوجه، وادعت بأن في ذلك إضرارًا لها وخروجًا على الاتفاقيات المعقودة، وتظاهرت أمريكا بأنها على الحياد، داعية الطرفين إلى حل الخلاف سلميًّا، وأظهرت أن إيران حرة في الطريقة التي تستغل بها مواردها النفطية، وفي تلك السنة ١٩٥١م اضطر الشاه بتعيين محمد مصدق رئيسًا للحكومة، وأمام رفض بريطانيا فكرة التأميم، ومحاولة أمريكا أن تقوم الحكومة الإيرانية بالتفاهم، وعدم الإقدام على تأميم النفط، خشية أن يؤدي ذلك إلى تشجيع كل من العراق والسعودية والآخرين على تأميم النفط،

---

(١) سلمى حداد: (المساعدات الأمريكية العسكرية)، ص٩، دراسة مقدمة إلى معهد الدراسات العليا في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة نيويورك، دار القدس، بيروت، لبنان، تشرين الأول (أكتوبر)، ١٩٧٤م.

وأمام هذا الخلاف قامت في إيران مظاهرات كبيرة، قادتها الحركة الوطنية والشيوعيون، يؤيدون فيها حكومة مصدق في الإقدام على تأميم النفط. وقد حاولت بريطانيا الالتفاف حول فكرة التأميم في مباحثاتها مع مصدق، ولكن حكومة مصدق أصرت على تنفيذ قانون تأميم شركة النفط الإنجلو إيرانية، فقام أكثر الموظفين البريطانيين بالاستقالة، وحشدت بريطانيا قواتها العسكرية في الخليج، محاولةً تهديد حكومة مصدق. وقد طالت المباحثات بين مصدق والجانب البريطاني بوساطة من أمريكا، انتهت إلى تمسك مصدق بسيادة إيران على نفطها: استخراجه، وبيعه، والنظر فيما بعد بتعويض الشركة المتضررة، ولكن ذلك لم يوافق الحكومة البريطانية.

ويبدو أن شاه إيران يميل للاستجابة للمقترحات البريطانية خلاف مصدق، وقد حاول مصدق الحصول على قروض مالية من أمريكا، كما حاول إغراء الشركات الأمريكية بشراء نفط إيران، ولكنّ كل هذه المساعي لم تنجح، ودخلت إيران في ضائقة مالية، لم يستطع مصدق الخروج منها، وكانت أمريكا تخشى من تدخل السوفيات إذا ما استعملت بريطانيا القوة. وقد تدخل البنك الدولي لإجاد حل بين حكومة مصدق وبريطانيا، وقدم البنك مقرحات عدة، تتعلق بقيامه باستغلال النفط نيابة عن الحكومة الإيرانية، وأن يبيع بسعر منخفض عن سعر السوق بـ ٣٣٪، وأن يوظف بريطانيين في أعمال النفط ولكن هذه المقترحات رفضت من قبل مصدق، مطالبًا بعدم توظيف أي بريطاني له علاقة بالشركة الإنجلو- إيرانية، وموافقته على تخفيض السعر إلى ٢٥٪ فقط، وقد انتهت هذه المباحثات دون نجاح[١].

وقد رفعت بريطانيا شكوى ضد إيران في محكمة العدل الدولية في لاهاي، وقد حضر مصدق بنفسه لهذه المحكمة، ودافع عن حق إيران بالتأميم، وقال بعدم

(١) الأستاذ: إسماعيل أحمد سمو: العلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية خلال حكم مصدق، ص٨٧ وما بعدها، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

اختصاص المحكمة النظر في الشكوى البريطانية، وقد صدر الحكم لصالح إيران، وفي هذه الفترة عززت أمريكا صلاتها العسكرية بالجيش الإيراني، وتجديد بقاء الاستشاريين العسكريين، مما أغضب السوفيات. وأمام هذا الاستعصاء قدم مصدق استقالته إلى الشاه، الذي قبلها بسرعة، وطالب البرلمان بترشيح رئيس وزراء، فقام البرلمان بإعادة ترشيح مصدق، وحدث خلاف بين مصدق والشاه حول تسلم وزارة الدفاع، حيث كان الشاه مصرًّا على بقاء الجيش تحت قيادته المباشرة، فقدم مصدق استقالته مرة أخرى. فتعين بعد مصدق (أحمد قوام السلطنة)، الذي اتُّهم بالتحضير مع الأمريكان لإبعاد محمد مصدق، فقامت مظاهرات ضد الشاه وأمريكا، بسببها استقال (قوام السلطنة) ولم يمضِ عليه غير ثمانية أيام، اضطر الشاه لتعيين محمد مصدق، فطلب مصدق من أمريكا قرضًا بثلاثين مليون دولار، وهدد أمريكا إذا ما رفضت، فإنه سيتجه إلى الاتحاد السوفيتي، كما هدد مصدق بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا، فتم فتح مباحثات جديدة بين الطرفين بطلب من مصدق، خاصة بعد رفض محكمة العدل الدولية دعوى بريطانيا، وقامت أمريكا بالتوسط في هذه المباحثات الأخيرة، إلا أن هذه الجولة فشلت بسبب موقف كل من الطرفين، ففي ٢٢ تشرين الثاني أصدر مصدق قرارًا بقطع علاقاته مع بريطانيا، مخالفًا بذلك إرادة الشاه. وبعد هذه المرحلة قدمت أمريكا اقتراحًا يفيد مشاركة شركات نفط أمريكية مع شركة النفط الإنجلو إيرانية، ولكن هذا المقترح رفض أيضًا من مصدق، وبعدها يئست أمريكا من قدرتها على إجاد حل في الوقت الذي تعاظم فيه النفوذ الشيوعي داخل إيران بقيادة حزب توده. وأعلنت أمريكا باستحالة الوصول إلى تفاهم مع مصدق، ومالت إلى الموقف البريطاني، وأمام هذا الوضع غادر شاه إيران البلاد مستنكرًا موقف مصدق، لأنه في رأيه يعرض مصالح إيران للخطر، وبعد مجيء أيزنهاور برئاسة أمريكا ظن مصدق أن انفراجًا يمكن أن يحدث، ولكن الموقف الأمريكي بدا واضحًا لترتيب انقلاب بقيادة زاهدي وبموافقة كل من رئيس البلاط الملكي، وبعض ضباط الجيش، ونواب المجلس، حيث أتهم السفير

الأمريكي في طهران بهذه الجهود، الأمر الذي دفع مصدقًا للاحتجاج وكشف النوايا الأمريكية.

وانقلبت أمريكا واستخباراتها في بث الدعايات ضد مصدق، وانه سيسلم البلاد إلى النفوذ السوفيتي، وينقلب على النظام الملكي، وفي هذه الأزمة بدأ الخلاف يدب بين زعماء إيران أنفسهم، بعد أن كانوا موحدين وراء مصدق، وأول مظاهر هذا الخلاف في القوى المعارضة والقوية لمصدق، ظهرت من بعض رجال الدين بزعامة الكاشاني، مدعين بأن مصدقًا سيسلم البلاد إلى النفوذ السوفيتي، ومطالبين بتعزيز زعامة الشاه، لقيادة البلاد في هذه المرحلة. ولكن حزب توده عضد موقف مصدق ضد مخالفيه، على الرغم من ظهور بعض المحاولات لاغتيال مصدق، أو لحجزه من قبل بعض أفراد الجيش[1]. وانقسم الشعب الإيراني إلى قسمين: قسم يؤيد مصدق وخاصة حزب توده، وآخرين يؤيدون الشاه، ويسعون إلى إسقاط مصدق، كما أن مجلس النواب انقسم إلى قسمين، فأراد مصدق حل البرلمان، وإجراء انتخابات جديدة، وقام باستفتاء الشعب، فأيد الأكثرية مصدقًا على ذلك، فاضطر مصدق إلى حل البرلمان، والموافقة على إجراء الانتخابات، وغادر الشاه طهران إلى مدينة رامسر على بحر قزوين، ومن هناك أصدر قرارًا بعزل مصدق، وتكليف الجنرال زاهدي برئاسة الوزراء، وقد رافقت محاولة الشاه هذه إحداث انقلاب يقوم به الجيش بتأييد من أمريكا، ولكن مصدقًا رفض أمر الشاه، وفشلت محاولة الانقلاب الأولى، فغادر الشاه رامسر إلى بغداد، ومنها إلى روما. وقام حزب توده والشيوعيون بمظاهرات صاخبة، طالبوا بإسقاط الشاه، وكسروا تماثيله وصوره، كما حصل اعتداء على بعض الأسواق ونهبها، مما اضطر المعارضون إلى المطالبة بتدخل الجيش، فوجدتها أمريكا فرصة لتعضيد المعارضة ضد مصدق، وعمل انقلاب ضد حكومته، فاستولى المعارضون على الإذاعة، ونادوا

(١) الأستاذ: إسماعيل أحمد سمو، المصدر السابق، ص١٢٣ وما بعدها.

بإسقاط الحكومة ومحاكمة مصدق. وقيل: إن مصدق قدم استقالته، وتولى زاهدي منصبه بتأييد من الجيش، وأكد السيد كوبلاند في كتابه (لعبة الأمم) كيف أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية خططت لإسقاط مصدق، وذلك برشوة بعض رجال الدين ورجال البازار، وتحضير بعض ضباط الجيش لإسقاط مصدق، وتسلُّم الحكم بعد إحداث مظاهرات ضده في طهران[١]. وعاد الشاه إلى طهران ثم عودة شركات نفطية عدة لاستخراج النفط وبيعه، وفشلت محاولة مصدق في تأميم النفط.

كانت إيران في عهد الملكية وقبل الثورة هي الشرطي، الذي ينفذ رغبات أمريكا وإسرائيل في المنطقة، وبسبب تصاعد العداء الشعبي الإيراني ضد السياسة الأمريكية والإسرائيلية، فقد أدركت الإدارة الأمريكية وجوب تغيير الحكم بشكل يرضي الإيرانيين، فاستخدمت التيار الإسلامي الشيعي للانقلاب على شاه إيران، فكانت أمريكا وإسرائيل تحرضان بالخفاء، وتدعمان الثورة الإيرانية ضد الشاه، خاصة تأييدها للجناح اليساري في المد الإسلامي الشيعي، الذي أوضحناه سابقًا، وشرحنا فيه كيف استولى علماؤهم ومراجعهم الدينية على الحكم، وقيام الخميني بالثورة، وقد قام الثوار الإيرانيون ومراجعهم الدينية بتغطية هذه الحقيقية، بالتستر خلف العداء اللفظي ضد أمريكا، وتسميتها بالشيطان الأكبر، وردت أمريكا أيضًا بما يسمى بسياسة الاحتواء، لتصرفات وتصريحات إيران، ولكن تطور الأحداث التي حصلت في أفغانستان والعراق وسوريا، كشفت حقيقة التقاء أهداف الثورة الإيرانية، وما تريده المسيحية الصهيونية في أمريكا وإسرائيل للمنطقة[٢].

---

(١) الأستاذ: إسماعيل أحمد سمو، المصر السابق، ص١٥٣ وما بعدها، ص١٦٠وما بعدها.

(٢) جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص١٥٦، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠١١م. طلال عتريسي: الجمهورية الصعبة إيران في تحولاتها الداخلية وسياستها الإقليمية، دار الساقي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.